



حظيت المظاهرات والاحتجاجات الواسعة التي شهدتها الكثير من المدن السورية، والتي انطلقت من مدينة درعا وامتدت للعديد من القرى والمدن السورية باهتمام المراقبين في إسرائيل نظراً لدلالاتها الخطيرة، وبخاصة على ضوء التطورات التي تشهدها العديد من الدول العربية في الأسابيع الأخيرة؛ فبينما اعتبر بعضهم أن اقتراب "الثورة العربية من الحدود الإسرائيلية" بحكم الموقع الجغرافي لمدينة درعا القريب من الحدود الأردنية، تغيراً استراتيجياً عميقاً وسط عجز النظام السوري عن قمعها، يرى آخرون أن سقوط نظام بشار الأسد، سوف يدخل إسرائيل في حالة من عدم اليقين والضبابية الشديدة. ويمكننا استعراض القراءة الإسرائيلية للثورة السورية الوليدة في محورين رئисيين، سنسعى من خلالهما رصد التوجهات الإسرائيلية حيال مستقبل الأوضاع في سوريا، ومصير نظام الأسد والتداعيات الإقليمية لذلك.

المحور الأول: الموقف الإسرائيلي الرسمي من تطورات الأوضاع في سوريا:

على الرغم من أن كافة التقديرات الإسرائيلية الصادرة خلال السنوات القليلة الماضية بشأن إمكانيات حدوث أي مواجهات بين النظام السوري ومعارضيه كانت تؤكد على أن لدى الرئيس بشار الأسد من القدرة ما يجعله واثقاً في مسألة بقاءه في السلطة والحفاظ على كرسي الحكم، إلا أنه يمكن القول: أن الأحداث التي تشهدها المدن السورية حالياً جعلت كبار مسئولي وزارة الدفاع وأجهزة الاستخبارات في تل أبيب يراجعون تقييراتهم بهذا الشأن وهو ما يتضح فيما يلي:

(تقديرات الجيش الإسرائيلي):

نقلت صحيفة هارتس عن مصادر عسكرية إسرائيلية قوله:

- 1- إن الجيش الإسرائيلي يستعد لاحتمال أن تحاول سوريا القيام بتصعيد عسكري عند الحدود الشمالية لإسرائيل في هضبة الجولان أو الحدود مع لبنان بهدف صرف الأنظار عن الاحتجاجات الجارية في المدن السورية ضد نظام بشار الأسد.
- 2- تستعد قيادة الجبهة الشمالية في الجيش الإسرائيلي لوضع قد تحاول فيه السلطات السورية استخدام حزب الله أو تنظيم آخر يأتمر بأوامرها في لبنان لتسخين الجبهة على طول الحدود الشمالية.

فيما يرى "موشية يعلون" وزير الشؤون الإستراتيجية في الحكومة الإسرائيلية في تصريحات للإذاعة العبرية أنه لا توجد احتمالات كبيرة بأن يقوم الرئيس السوري بتخفي الحدود الشمالية بهدف صرف الانتظار عن ما يحدث في بلاده من اضطرابات، مضيفاً أن ما يحدث في المنطقة من تطورات لا ينطوي على تهديدات فقط، وإنما أيضاً على نافذة فرص جديدة من الممكن تفتح أمام إسرائيل في حال سقوط نظام الأسد.

(أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية):

نقلت صحيفة معاريف العبرية عن مصادر وصفتها بالمطلعة قولها أن:

1- الاستخبارات الإسرائيلية تتبع عن كثب الأحداث الجارية في الأيام الأخيرة في سوريا، وأنه خلافاً للتقديرات السابقة تحدثت عن استقرار النظام السوري في دمشق، إلا أنه بعد الأيام الأخيرة يبدو أنه سيكون من الصعب على الرئيس السوري إعادة الوضع إلى ما كان عليه سابقاً.

2- إن الأسد وأعوانه سيكونون مشغولين جداً في قمع الاحتجاجات الداخلية، وأن التأهب في إسرائيل حالياً هو على المستوى الاستخباري، ولا توجد مخططات لحشد قوات الجيش الإسرائيلي عند الحدود مع سوريا أو لبنان.

(تقديرات المستوى السياسي):

جاءت معظم التصريحات الصادرة على لسان المسؤولين السياسيين الإسرائيليين في هذا الصدد للتحذير من مغبة تحريض النظام السوري لحزب الله وحماس للعمل ضد إسرائيل في الوقت الحالي لصرف الانتظار ما يحدث في سوريا، خاصة وأن عناصر إيرانية وعناصر من حزب الله الشيعي اللبناني تشارك في قمع المظاهرات والاحتجاجات الشعبية في سوريا، وأن بعض رجال الأمن الذين يقومون بتفريق المتظاهرين المحتجين يتكلمون فيما بينهم باللغة الفارسية.

(المحور الثاني: التداعيات الإقليمية للاحتجاجات السورية):

بطبيعة الحال ظلت الأحداث التي تشهدها سوريا الآن ومنذ اللحظات الأولى لتفجرها محطة أنظار كبار المحللين والمعلقين في وسائل الإعلام ومرتكز الأبحاث الإسرائيلية، ويمكن القول: أن الاهتمام بالشأن السوري فاق الاهتمام بالشأن الليبي خلال الأيام الأخيرة؛ لما تمثله سوريا من أهمية بالغة بالنسبة لإسرائيل، وفي هذا الإطار رصدت وسائل الإعلام العبرية التداعيات المرتقبة للثورة السورية، وانعكاسات إمكانية سقوط نظام الرئيس بشار الأسد على المستوى الإقليمي، والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1- (المتضاربين من سقوط الأسد):

أعد أستاذ تاريخ الشرق الأوسط المتخصص في الشؤون السورية في جامعة تل أبيب، السفير الإسرائيلي السابق في واشنطن البروفيسور "إيتamar Rabinovitch" تقرير نشرته صحيفة "يديعوت أحرونوت" ذكر فيه: أنه "إذا سقط النظام في سوريا فإن المتضررين الأساسيين هم إيران وحماس وحزب الله". مشيراً إلى أنه في ظل الوضع الراهن فإن "المطلوب أن تكون هناك سياسة إسرائيلية يكون في صلبها قراءة صحيحة للتطورات الداخلية في سوريا إلى جانب تأهب أمني وحوار وتنسيق مع الولايات المتحدة وشركاء آخرين وافتتاح تجاه الفرص الكامنة في الوضع الجديد".

2- (سقوط التحالف الإيراني السوري):

كتب مدير كلية الآداب في جامعة تل أبيب البروفيسور "أيال زيسر" المتخصص في الشؤون السورية واللبنانية في تحليل نشرته صحيفة "إسرائيل اليوم": "خلال العقد الأخير لم تخف القيادة الإسرائيلية آمالها بأن يبقى بشار في كرسيه، فرغم كل شيء حافظ النظام السوري بقيادته على الهدوء الأمني على طول الحدود مع إسرائيل في جبهة هضبة الجولان، لكن في السنوات الأخيرة تحول بشار إلى حليف قريب لإيران وسمح لها بتحويل حزب الله إلى قوة كبيرة تشكل خطراً كبيراً على إسرائيل".

وأكَد "زيسر" أن "سقوط بشار يعني انهيار الحلف غير المقدس بين سوريا وبين إيران وحزب الله". ومن هنا فليس هناك داع لأن تخشى قيادات تل أبيب من سقوط نظام بشار الأسد.

3- (الموقف بالنسبة لإسرائيل):

توقف المحلل السياسي في صحيفة "هارتس"، ألوف بن، عند ما أسماه بموجة التظاهرات التي حدثت في سوريا، معتبراً أن هذه التظاهرات تقرب الثورة العربية من الحدود الإسرائيلية، بحكم الموقع الجغرافي لمدينة درعا، وتطرق إلى إمكانية فشل الحكم في سوريا في وضع حد للتظاهرات، مشيراً للنقاط التالية:

- سقوط نظام بشار الأسد سيدخل إسرائيل في حال من الغموض وعدم اليقين.
- هذه الحالة من عدم اليقين تجد تعبيراً لها في جملة من الأسئلة؛ أهمها: من سيسيطر على مخزون صواريخ "سكود" ذات الرؤوس المتفجرة الكيماوية؟ من سيقود الجيش على جبهة الجولان؟ هل سيكون ورثة الأسد أكثر افتاحاً على الغرب وإسرائيل، أم على العكس، سيحاولون تصعيد حدة المواجهة لنيل مشروعية داخلية وإقليمية، كما فعل النظام القائم؟ وإذا ما فشلت الثورة، وبقي الأسد على كرسيه، فهل سيجرب من جديد عملية السلام للحصول على هضبة الجولان من إسرائيل؛ كبوليصة تأمين لبقاءه؟ هل سيكون هناك معنى -بالنسبة إلى إسرائيل- في استمرار المفاوضات والاتفاقات مع حاكم من شأنه أن يسقط؟.
- كل واحد من هذه الاحتمالات تحمل في باطنها مخاطر وفرص لإسرائيل في آن واحد، وأعاد المحلل الإسرائيلي إلى الأذهان تاريخ ما أسمتها بالعلاقات المركبة التي أدارتها إسرائيل مع الرئيس حافظ الأسد ومع ابنه بشار، لافتاً إلى أن النظام السوري رفع راية المقاومة وسعى إلى تحقيق توازن استراتيجي مع إسرائيل، وفي الوقت نفسه مثل ميناء مستقرة للنظام الإقليمي وشريكاً لعملية السلام.

4- (التحليل الإسرائيلي للثورة السورية):

أشار البروفيسور "ایتمار رابينوفتش" محل الشؤون العربية بصحيفة يديعوت أحرونوت إلى ما يلي:

- يتصدى نظام بشار الأسد الآن للازمة الأشد التي يواجهها منذ ورث كرسي أبيه في يونيو/2000م. ففي مقابلة طويلة منحها بشار الأسد لصحيفة "ول ستريت جورنال" تباهى الأسد باستقرار نظامه على عكس نظام الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، لكن في نهاية المطاف وصلت موجات الصدى "للربيع العربي" إلى سوريا أيضاً.
- تتغذى المعارضة بداء الأغلبية السنوية للحكم العلوي وأيضاً من أحساس الكثيرين بأن النظام متحجر، فاسد ويمنع دخول سوريا إلى التيار المركزي للحياة في القرن الواحد والعشرين.
- خلافاً لمصر، ليس في سوريا فارق حقيقي بين النظام والجيش. كلاهما يعكسان الهيمنة العلوية، والعناصر المختلفة للنخبة يعرفون ما هو الثمن الذي سيدفعونه إذا ما سقط النظام. للقمع وللنبح في بداية الثمانينيات يوجد أثر مزدوج في سوريا اليوم. الحساب الدموي للأغلبية السنوية مع النظام ينتظر تسديده، ولكن الكثيرين يخشون من أن المقاومة العنفية ستؤدي إلى حمام دماء آخر.
- حالياً، رد النظام بمزيج غير ناجح من اقتراح الإصلاحات والتنازلات والقمع العنيف، ولكن أغلب الظن ليس في ذلك ما يمنع التمرد المدني. كما أن هناك مؤشرات على جدال داخل النظام بين المؤيدين لإصلاحات بعيدة الأثر، وبين أولئك الذين يدعون بأن مثل هذه الإصلاحات ستعرض وجود النظام للخطر. زعامة الأسد ستختبر في قدرته على بلورة سياسة ناجحة وفرضها على النظام.
- يحمل تغيير النظام السوري الكثير من الفرص والأخطار في آن واحد، ربما ينعكس من خلال فترة طويلة من انعدام الاستقرار، التي ستكون آثارها بعيدة المدى على الشرق الأوسط وعلى أمن إسرائيل، فيما يعتبر سقوط نظام بشار بمثابة

ضربة شديدة لإيران ولخطتها التوسعية. فإلى الآن كانت إيران أبرز المستفيدين من التطورات في المنطقة.

سقوط مبارك، الأحداث في البحرين التوتر في اليمن، عملت كلها على تعزيز محور المقاومة بل وصرفت الانتباه الدولي عن برنامجها النووي، أما سوريا فهي الحجر الرئيس في المحور المؤيد لإيران. فسواء ضعف نظام الأسد أو سقوطه، فسيكون ضربة قوية لإيران، لحزب الله ولحماس.

• استمرار الصدامات واحتمال القمع العنيف في سوريا سيخلقان معضلة للولايات المتحدة وحلفائها، فالتدخل في ليبيا وجد تبريره في أنه لا يجب السماح للقذافي بذبح المواطنين الليبيين المطالبين بالحرية والديمقراطية، لذا سيعين على أوباما وشركائه أن يشرحوا لماذا لا يتدخلون لمنع سفك دماء في سوريا.

5- (التحليل الإسرائيلي لشخصية بشار الأسد):

أشار معلم الشئون السياسية بصحيفة "معاريف" العبرية "عوديد جرانوت" إلى هذا السياق من خلال تقرير له جاء فيه:

• أن حكام المنطقة الذين استيقظوا على كابوس متواصل ذات صباح، ينقسمون إلى معسكسرين وأضحيين حسب ردود أفعالهم على ثورات شعوبهم ضدهم؛ فمنهم من اختار الخضوع لإرادة أبناء شعبه، ومنهم من اختار نبذهم.

• رئيسا تونس ومصر ينتمايان لنوع الأول، حيث استغرق كل منهما أقل من شهر كي يفهم بأنه حان وقت الرحيل. بن علي التونسي هرب، مبارك خرج إلى منفى طوعي داخل بلاده. بتعبيارات شرق أوسطية ثمن رحيلهما بالقتل والجرحى من بين المواطنين كان زهيداً.

• أما عمر القذافي هو بلا شك من النوع الثاني، وعلى هذا المنوال يمكن تصنيف بشار الأسد، فهو لن يتتردد في قتل المزيد والمزيد قبل أن يخلو منصبه، **وربما ذلك يرجع إلى جملة من الأسباب من بينها:**

1- العنصر الجيني العائلي: رغم أن الحديث - لا يزال - يدور عن أعداد مختلفة تماماً من الضحايا، فإن هناك خططاً يربط بين المذبحة التي ارتكبها أبوه حافظ الأسد بحق المسلمين في حماة في 1982م، وبين قتلى هذا الأسبوع في درعا، في صنمين، وحتى في دمشق.

2- الانتماء الطائفي: بشار ليس وحيداً. فهو ممثل الطائفة العلوية التي هي طائفة أقلية، ولكنها تتمتع بكل مميزات السلطة، لذا إذا رحل دون صراع فسوف تخسر الطائفة العلوية في سوريا كل هذه المكاسب وإلى الأبد.

3- القناعة الداخلية: الأسد الذي يرى نفسه كبطل الكفاح ضد إسرائيل، ببساطة لا يعتقد أنه حان وقته للرحيل.

4- الدعم الإقليمي: أحmedi نجاد وحسن نصر الله على حد سواء اللذان عقدا حلفاً مع الأسد الشاب لا يعتقدان بأن عليه أن يرحل.

5- الازدواجية الأخلاقية الدولية: الأسد يقدر بأن وضعه أفضل بكثير من وضع القذافي.

فهو يعرف أن أوباما وساركوزي وكمرون سيفكرون ألف مرة قبل أن يقدموا على إطلاق الصواريخ على القصر الرئاسي في دمشق فقط كي يحموا المنتفضين، إلا إذا اكتشف فجأة بأن قسماً كبيراً من الجيش وقوات الأمن لديه - ليس أولئك المتمميين للطائفة العلوية - يرفضون التسلیم بذبح المواطنين وينضم إلى المتظاهرين.

في ختام استعراضنا لهذا المحور نطرح السؤال الذي يشغل بال الصهاينة في تل أبيب، وهو: هل بقاء بشار الأسد في سدة الحكم السوري هو مصلحة إسرائيلية؟

على الرغم من العداء العلني بين سوريا تحت قيادة الأسد وإسرائيل... أكد معظم المحللين الإسرائيليين في كتاباتهم التحليلية وتعليقاتهم السياسية، على أن تل أبيب تعتبر بشار الأسد رغم كل شيء شريك يمكن التنبؤ بتصرفاته وسيؤدي إسقاطه لا محالة إلى حالة من عدم الاستقرار التي ستتمتد لفترة طويلة.

ويمكن في هذا السياق عرض ما ذكره "جابرييل بن دور" مدير دراسات الأمن القومي بجامعة حيفا وقال ما يلي: "ستفضل

تل أبيب أن يستمر الأسد في الحكم، وتنطبق في هذه الحالة مقوله من تعرفه أفضل من لا تعرفه، وأضاف: "لا يعتقد أحد في إسرائيل أن الاضطرابات في سوريا ستفرز الأفضل، وأن الخوف الأساسي يكمن في أنه إذا رحل الأسد من هناك فسيؤدي هذا إلى فترة طويلة من عدم الاستقرار".

وقال بن دور: "لن يستطيع أي نظام جديد في سوريا تعريض شرعنته للخطر بالتوصل إلى أي اتفاق مع إسرائيل، غير أنه إذا استمر الأسد في الحكم فقد يبدي مرونة أكبر تجاه الغرب في محاولة لتعزيز اقتصاد سوريا وإخماد الغضب الشعبي بشأن الفقر والبطالة، وبخلاف مصر لم تعقد سوريا سلاماً مع إسرائيل بعد حرب عام 1973م لكنها تقييد بشدة بالتزاماتها الخاصة بفك الارتباط، فأنشأت واقعاً أميناً ناسباً الجانبين على مدار السنين، وبطبيعة الحال فإن إسرائيل لا تسعدها مساندة سوريا لاثنين من ألد أعدائها وهما؛ حزب الله اللبناني، وحركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس).

فيما يرى بعض المحاللين الإسرائيليين أن التغيير في دمشق قد يفيد إسرائيل في نهاية المطاف، لكن آخرين يقولون: أنه إذا أدت الاحتجاجات في سوريا إلى إسقاط القيادة في دمشق كما حدث في تونس ومصر فمن المتوقع أن يملأ الإسلاميين السنة الفراغ الذي سيخلفه غياب الأسد و يجعلون البلاد أكثر تشدداً.

إنما:

يبدو أن الكيان الصهيوني يفقد حلفائه وعملائه داخل الوطن العربي واحد تلو الآخر، سواء من كانوا فاعلين منهم مثل: الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، أو الصامتين مثل: بشار الأسد، والذين بأفعالهم وتواطئهم مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية ساهموا في منح الكيان الصهيوني الضوء الأخضر للعربدة والعبث بأمن ومصير منطقتنا، وممارسة شتى ألوان العدوان والبلطجة ضد إخواننا من أبناء الشعب الفلسطيني اللبناني، فها هو الوقت قد حان لثورة الشعوب العربية لتحطيم أغلال أنظمتها المجحفة ليفتح الطريق أمامهم للقدس والممسجد الأقصى لتحريره من دنس الصهاينة وأعوانهم... بمشيئة الله - عز وجل - .

المصدر: مفكرة الإسلام

المصادر: